المجلة العالمية للعلوم الشرعية والقانونية
الإصدار الثامن والأربعون
المجلد (٦) العدد (٤)
٢٠٢٣ (١-١٢)

المجلة العالمية
للعلوم الشرعية والقانونية

Middle East Institution of scientific Publishing

التعايش بين الأديان "المغرب" نموذجا

د. نسيبة شطيبي

*دكتورة في العقيدة والفكر الإسلامي، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، **المملكة المغربية***

نُشِرَ إلكترونياً في: **١٦ أغسطس ٢٠٢٤م**

الملخص

إن الله عز وجل قد أمرنا بأننا لا بد وأن نعيش ونتعايش مع الأديان المختلفة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى. وهذا يكون بالتعاون بين البشر بعضهم البعض، بخلاف الديانات، وأيضا لابد من أن نحترم هذه الديانات وهذا حتى نحصل على الاستقرار والهدوء سويا. فكان المغرب ومازال البلد الأكثر تسامحا وانفتاحا، حيث يتعايش في نسيجه المجتمعي ديانات متعددة استطاعت أن ترسم لها مسارا سليما تتشابك فيه العلاقات وتتداخل فيه تفاصيل الحياة اليومية، وقد شكل اليهود أحد العناصر الأساسية في المجتمع المغربي في مختلف الحقب التاريخية، سواء في المدن او في القرى. وحتى المسيحيون شكلوا عددا غير هين، فمارسوا طقوسهم الدينية في الكنائس الموجودة في كبريات المدن بكل حرية.

والمعلوم تاريخيا وحضارة أن المملكة المغربية ظلت على مدار قرون من الزمن متشبثة بالقيم الروحية والإنسانية وقيم التعايش والوئام والحوار لتكون الكلمة الفيصل فيه للسلام بدل النزاع، ويتجسد نهج المملكة المغربية في هذا الإطار في العديد من المبادرات الدولية التي طرحتها وفي تبنيها العديد من المواقع الداعمة للسلام. ويترسخ إيمان المغرب بالقيم الإنسانية وسعيه الدائم لتحقيق التعايش والتسامح في طبيعة التساكن الذي عاش ويعيش على إيقاعها المغاربة المسلمون والمغاربة واليهود والمغاربة المسيحيون جنبا إلى جنب على مرجعية الدين لله والوطن للجميع.

الكلمات المفتاحية: حوار الأديان، التعايش بين الأديان، العيش المشترك

Abstract

God Almighty has commanded us that we must live and coexist with the different religions revealed by God Almighty. This is through cooperation between people, unlike religions, and we must also respect these religions to achieve stability and tranquility together. Morocco was and remains the most tolerant and open country, with multiple religions coexisting in its societal fabric that were able to chart a sound path in which relationships were intertwined and the details of daily life intertwined. The Jews formed one of the basic elements in Moroccan society in various historical eras, whether in cities or in villages. Even Christians constituted a significant

number, and they practiced their religious rituals in churches in major cities with complete freedom.

It is known from history and civilization that the Kingdom of Morocco has, over centuries, remained attached to spiritual and human values and the values of coexistence, harmony, and dialogue, so that peace rather than conflict will be the final word. The Kingdom of Morocco's approach in this context is embodied in many international initiatives that it has put forward and in the adoption of many sites supporting peace. Morocco's belief in human values and its constant endeavor to achieve coexistence and tolerance are rooted in the nature of coexistence under which Muslim Moroccans, Moroccan Jews, and Moroccan Christians have lived and continue to live, side by side, based on the reference of religion to God and the homeland for all.

Keywords: interfaith dialogue, interfaith coexistence, coexistence

*** مقدمة**

يتزايد اهتمام المجتمع الدولي بدعم الجهود المبذولة على أكثر من صعيد، من أجل تعزيز الحوار بين الثقافات والتحالف بين الحضارات والتعايش بين الشعوب، من منطلق الحرص على بناء عالم جديد تسود فيه قيم التسامح المبني على الاحترام المتبادل، وعلى اعتماد مبادئ الحق والعدل والمساواة وحقوق الإنسان قاعدة ومنهجا للعلاقات الدولية، وطوق نجاة للإنسانية مما تتخبط فيه مشكلات وأزمات وتوترات تهدد الامن والسلم في العالم. فمعتنقو الديانات الثلاث: الإسلام واليهودية والمسيحية، يعيشون قصة تعايش تعود جذورها إلى آلاف السنين، ورغم الأزمات والتوتر يجعل معتنقي هذه الديانات بالمغرب أكثر تمسكا بروح التعايش.

فالمجتمع المغربي، عبر تاريخ المغرب الممتد لقرون طويلة من الزمن، عرف حركة مهمة أسهمت في تنوع العناصر المشكلة له، بناء على ما كانت تعرفه المنطقة من تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية أسهمت في إثراء التركيبة المجتمعية المغربية، وهو ما تؤكده مختلف الأبحاث الأنثروبولوجية التي انصبت على دراسة مميزات المجتمع المغربي منذ القدم.

فالمغرب يعتبر دولة إسلامية، إلا أنه يضمن حرية ممارسة الشؤون الدينية لغير المسلمين وفقا للفصل السادس من الدستور المغربي لسنة 2011[1]. فالمجتمع المغربي، عرف

[1] ينص الفصل 6 من دستور 2011 المملكة المغربية: "القانون هو أسمى تعبير عن إرادة الأمة. والجميع، أشخاصا ذاتيين أواعتباريين، بما فيهم السلطات العمومية، متساوون أمامه، وملزمون بالامتثال له. تعمل السلطات العمومية على توفير الظروف التي تمكن من تعميم الطابع الفعلي لحرية المواطنات والمواطنين، والمساواة بينهم، ومن مشاركتهم في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. تعتبر دستورية القواعد القانونية، وتراتبيتها، ووجوب نشرها، مبادئ ملزمة.

ومازال يعرف حركة مهمة أعطته صفة التنوع، نظرا لما كانت تعرفه المنطقة من تحولات وتغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية ساهمت في تنوع التركيبة المجتمعية للمغرب. فالمملكة المغربية تجعل الدين عامل سلام، وتضمن بذلك عيش اليهود والمسيحيين في سلام واحترام لقيم التعايش. وتستند الركيزة الأساسية لهذه المقاربة والتي تم تعزيزها في نفس الدستور، على مؤسسة أمير المؤمنين "إمارة المؤمنين" مجسدة في جلالة الملك محمد السادس الذي يدير وينظم التوجهات والاستراتيجيات في ظل حكم الملوك العلويين، الذين حرصوا على زرع روح الانفتاح، الأخوة، التسامح والسلام في المغرب. فالجهود التي بذلت من طرف جلالة المغفور له الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، والمغفور له جلالة الملك الحسن الثاني الراعي الأول للسلام والحوار بين الديانات التوحيدية، خير دليل على نهج التعايش والاخوة الذي تبناه المغرب منذ عهود طويلة.

وهذا ما يجعلنا نتساءل إلى أي حد ساهمت المملكة المغربية في تحقيق التعايش بين المسلمين، اليهود والمسيحيين؟

فلمعالجة هذه الإشكالية يجب الإجابة عن بعض الأسئلة الفرعية التالية: ماذا نقصد بالتعايش بين الأديان؟ وما هي مظاهر التعايش الإسلامي اليهودي والمسيحي داخل المملكة المغربية؟

أولا: مفهوم التعايش بين الأديان

إن البشرية اليوم تعيش عصر الهلع والفزع من حرب كونية تدمر كل شيء، وتعيش إلى هذا العصر الذي تميز بالطائفية الدولية المتمثلة في التحالفات الأوروبية والشرقية والغربية، كما تعيش أيضا عصر الاحتكار والاستغلال والامتهان لكرامة الإنسان، على الرغم من وجود هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة، وإصدار القوانين العديدة التي تمنع الاعتداء وسلب الحقوق وطرد الشعوب من أوطانها، ولا سبيل لإنقاذ البشرية مما هي فيه إلا بتشريعات عادلة لا تفرق بين الناس، بسبب ألوانهم وعقائدهم وأجناسهم، تشريعات تحمي الضعيف من القوي، والمتخلف من المتحضر، والفقير من الغني، ولن تكون هذه التشريعات عادلة إلا بما وافق ما جاء به وحي السماء إلى خاتم الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم لأنها وحدها التي تتوافر فيها كل أسباب الحماية والرعاية والسعادة للناس قاطبة[1].

فقضية التعايش تعتبر من أهم القضايا التي تشغل عقول الصفوة وتستقطب اهتمام المشتغلين بالدراسات المستقبلية المتعلقة بمصير التدافع الحضاري على جميع مستوياته، وذلك لما لها من بالغ التأثير في الواقع الإنساني اجتماعيا وحضاريا. وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش، التي هي الأصل في اشتقاق هذا المصطلح نجد أن العيش: الحياة، يقال عاش يعيش عيشا، وعايشه: عاش معه كقوله: عاشره (لسان العرب، مادة عيش). وفي المعجم الوسيط: عاش عيشا وعيشة ومعاشا: صار ذا حياة، عايشه: عاش معه، وتعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة ومنه التعايش السلمي، والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب[2].

ليس للقانون أثر رجعي."

[1] أحمد محمد رحومة، مفهوم التعايش بين الأديان، مجلة أصول الدين، العدد 4، ص: 20

[2] "مفهوم التعايش وضوابطه"، موسوعة الفتاوى، الموقع الإلكتروني: https://www.fatawa.com/view/15322/، تاريخ التصفح: 20 شتنبر 2023، ساعة التصفح: العاشرة ليلا.

وهذا التعايش يجب أن يستند إلى أسس ثلاثة هي[1]:-

١- الإرادة الحرة المشتركة.

٢- التفاهم حول الأهداف والغايات، حتى لا يكون فارغا من أي مدلول عملي، بحيث إن القصد من التعايش هو خدمة الإنسانية السامية وتحقيق المصالح البشرية وفي مقدمتها استتباب الأمن الاجتماعي والحيلولة دون قيام أسلوب الحرب.

٣- صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام المتبادل والثقة المتبادلة، حتى لا ينحرف التعايش المرسوم، وحتى لا تطغى مصلحة طرف على مصلحة الطرف الثاني، وذلك بأن يتم الاحتكام دائما إلى القواسم المشتركة وإلى القدر المشترك من القيم والمثل والمبادئ التي لا خلاف عليها ولا نزاع حولها والمستوحاة من قيم الأديان السماوية. ولا يخرج مفهوم التعايش بين الأديان عن هذا الإطار وإلا فقد خصوصياته وانحرف عن غاياته.

فالتعايش هو تقدم على مرحلة التصادم والتجاذب والتراع، وهو مرحلة أفضل من المنازعة التي كانت سائدة في القديم. وهو دليل إرادة السلام واحترام الآخر وليس بالضرورة الموافقة على رأي الآخر. كما يعني احترام الكرامة الإنسانية وحرية الفكر وحرية الإيمان، وحرية المعتقد واختيار أي نظام بحيث لا يخل بالأمن الاجتماعي.

أما المرحلة المتقدمة على مرحلة التعايش فهي مرحلة العيش المشترك، والحوار هو السبيل الوحيد لتحقيقه. فإذا كنا نعيش عيشا مشتركا ستكون القضايا المشتركة منتظمة في سبيل الخير العام. إذن، التعايش هو سلام بارد، بينما السلام الحار هو العيش المشترك، نعترف بكيان بعضنا ونحترم آراء الآخر ونتعاون في سبيل خير الجميع. ولا خيار لنا لنصل إلى هذا الأمر إلا الحوار، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي بلد ولا في أي دولة لأن لكل دولة علاقات مع غيرها، ووسائل الاتصال في العالم سهلت الارتباط بحيث أن ولا أي تراث أو تقليد أو ثقافة تستطيع حل مشاكلها لوحدها[2].

وتكمن أهمية التعايش السلمي في القيمة السامية والنبيلة، التي تعزز أواصر التعاون والتفاهم بين الناس في مختلف المجالات، سياسية، اقتصادية، اجتماعية وإنسانية. فقد أثبتت التجارب المريرة التي خاضها العالم أن الخلاص الحقيقي لعيش الإنسان بسلام يتمحور في بناء المجتمعات على ثقافة التعايش السلمي، فأصبحت الحاجة إلى تكريس مبدأ التعايش السلمي ضرورة ملحة في وقتنا المعاصر لما وصلنا إليه من مظاهر العنف بحق الإنسانية. ومن هذا المنطلق تتجلى لنا أهمية التعايش السلمي والتي لا تنحصر في مجال محدد، ويمكن حصرها في تحقيق السلم والأمن الدوليين، وحماية حقوق الإنسان، وتعزيز الوحدة الوطنية[3].

[1] أسامة حداد، الدين والتعايش في الإسلام، سلسلة "التفاعل الإسلامي المسيحي"، العدد 3، دار المشرق بيروت، الطبعة الأولى 2006م، جامعة القديس يوسف، معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية، ص:45

[2] الأب عادل تيودور خوري، العيش المشترك ودوره في التربية الدينية، سلسلة "التفاعل الإسلامي المسيحي"، العدد 3، دار المشرق، بيروت 2006.

[3] عبد العزيز علي الجماني، التعايش السلمي، مجلة الجامعة الوطنية، العدد 15 دجنبر 2020، ص: 82

ثانيا: التعايش الإسلامي اليهودي والمسيحي في المغرب

١- التعايش الإسلامي اليهودي في المغرب

إن محاولة البحث عن التاريخ الحقيقي لاستقرار اليهود في المغرب يكتنفه الغموض، نظرا لندرة الأدلة الكافية، ولعدم استقرارهم الذي يقدره البعض بحوالي ألفي سنة، إذ يرجع الباحث "حاييم الزعفراني" تواجد اليهود بالمغرب إلى أزمنة قديمة "فجدور يهودية الغرب الإسلامي تمتد إلى عهود سحيقة، إذ يعد اليهود تاريخيا أول مجموعة غير بربرية وفدت على المغرب وماتزال تعيش فيه إلى يومنا هذا".[1]

ويسانده في هذا الطرح "إبراهيم حركات" إذ يقول: "وقد كان مجيئهم إلى الشمال الإفريقي في هجرات منقطعة كان أولها مع الفينيقيين، والواقع أن اليهود تمكنوا من معايشة المسلمين في أجزاء كثيرة من المغرب".[2] وبين الطروحات المختلفة في هذا الصدد، يبقى المتفق عليه هو أنهم ثاني عنصرا استقر في المغرب بعد الأمازيغ، إذ انتشر اليهود في العديد من مناطق المغرب، وكانوا يتمركزون في الحواضر الكبرى، مثل فاس، سجلماسة وآسفي. وقد تمكن اليهود طيلة القرون التي استقروا خلالها في المغرب من تكوين فئة اجتماعية متميزة من السكان المحليين سواء من الناحية الدينية أو العرقية أو التقاليد. وتعتبر مرحلة الفتح الإسلامي للمغرب من أهم الفترات التي برزوا فيها اليهود وتمتعوا خلالها بمجموعة من الحقوق والامتيازات.[3]

فالحضور اليهودي في المغرب إلى قرون عديدة كما ذكرنا سابقا، حيث كان المغرب هو الملجأ الذي وجده أكبر عدد من اليهود المطرودين خصوصا من شبه الجزيرة الإيبيرية،[4] وفي غمرة الفوران الذي عرفته المسألة الفلسطينية خلال ما ينيف عن أربعين سنة، فإن يهودا مغاربة بقوا في أرض آبائهم، بينما غادرها آخرون ولكن لم تنقطع أواصرهم مع البلد والأهل. فكيف تعايش اليهود مع المسلمين على أرض ذات ثقافة وهوية إسلامية؟

فقد شكل اليهود أحد العناصر الأساسية في المجتمع المغربي، إذ لم يكن العنصر اليهودي يغيب عن مختلف المناطق المغربية، في مختلف الحقب التاريخية. ورغم التحولات السياسية والاجتماعية المستمرة التي كان يعرفها المغرب، لم يسجل في فترة من الفترات غياب اليهود كعنصر مهم في التركيبة المجتمعية المغربية، بل لم يكن حضورهم عاديا في مجتمع المغرب الذي يمكن القول بأنه مجتمع مسلم في الأغلبية الساحقة، إذ أن جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني حرص على الحفاظ على الروابط التي تجمع اليهود

[1] حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ، ثقافة، دين، الطبعة الأولى، عام 1987م، الدار البيضاء، ص: 9

[2] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الرشاد الحديثة، 1984م ص: 56

[3] دانييل شرتور، يهودي السلطان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط أكدال، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2011م، ص: 65.

[4] محمد العربي المساري، ثلاث ديانات في حالات التعايش والأزمة مثال المغرب، مجلة دراسات وأبحاث، مقتطف من لقاء" الديانات الثلاث" الذي نظمته جامعة "ألكالا دي هيناريس" في إسبانيا يومي 29/28 نوفمبر 1994 بمشاركة مثقفين وسياسيين ورجال دين مسلمين ومسيحيين ويهود.

المغاربة بوطنهم الأم، وذلك بإصدار الدولة المغربية لقرار سنة 1976م يتعلق بعدم إسقاط الجنسية المغربية عن اليهود المغاربة الذين هاجروا في مراحل سابقة حتى يتسنى لهم العودة إلى بلدهم متى أرادوا باعتبارهم مواطنين مغاربة.[1]

فاليهود تبوؤا مناصب مهمة في مختلف طبقات المجتمع وعلى اختلاف مجالاته الحيوية،[2] ففي المغرب تقدم الجالية اليهودية المغربية وجهات نظر أصلية لتفسير الحياة اليهودية في أرض الإسلام، على عكس البلدان المغاربية الأخرى ودول الشرق الأوسط. فالمغرب يقدم نفسه كاستثناء فريد نظرا للرغبة المؤسسية في إبراز المكون اليهودي لتاريخ المملكة.

فعلى المستوى السياسي مثلا عرفت فترة ما بعد استعادة الاستقلال حضورا يهوديا في البرلمان المغربي والحكومة المغربية، فمن وصلوا إلى تلك المواقع وصلوا باعتبارهم مواطنين مغاربة مؤهلين بدرجة عالية لممارسة تلك المناصب. وعلى المستوى الاقتصادي لعب اليهود دورا كبيرا في تحريك عجلة الاقتصاد المغربي إبان فترات استقرارهم، وقد تجلى ذلك في اهتمامهم بالصناعة والحرف التقليدية خاصة، ويرجع ذلك إلى تعاليم دينهم. ويعد الجانب الديني أيضا من أهم المميزات التي ميزت اليهود عن باقي سكان المغرب عبر التاريخ، في الفترة الإسلامية خاصة، إذ كان اليهود حريصين على أداء تعاليم دينهم، في ظل التسامح الذي تمتعوا به في المغرب تاريخيا، والذي يتجلى في ممارستهم لمختلف عاداتهم وتقاليدهم.

كما أن نقل التقاليد والتعاليم الدينية وكذلك الحق في التجمع في المراكز الثقافية محفوظة. ويتضح انصهار الثقافة اليهودية المغربية في تاريخ وهوية البلد من خلال لحظات مهمة من التلاقح بين الأديان والطوائف، فلعدة سنوات وبمبادرة من جلالة الملك محمد السادس، تم إطلاق عملية واسعة النطاق من أجل تحديد وصيانة التراث اليهودي وأماكن العبادة، وتم إدراج كنيسة "صلاة الفاسيين" في فاس كموقع للتراث العالمي من قبل اليونيسكو. فالمغرب هو البلد العربي الوحيد الذي قام بترميم المعابد والمزارات والمقابر اليهودية.

ومن بين مجالات التعايش بين المسلمين في المغرب يطالعنا مجال السكن، وهو مجال مهم إذا أخذنا بعين الاعتبار خصوصية هذا المرفق في المجتمعات المسلمة، ورغم أن أغلب اليهود كانوا يسكنون في حي خاص بهم يسمى "الملاح" وهذا الحي نجده في أغلب المدن المغربية العتيقة، مثل فاس، تطوان، الرباط وغيرها، إلا أن الملاح كان يتميز عموما بانفتاحه الكلي، وعدم وضوح حدوده، وتداخل بيوته مع بيوت المسلمين، و لم يكن يختلف عن غيره من الأحياء الأخرى في المدن المغربية العتيقة، فهو ليس أكثر ولا أقل تنظيما منها، كما أن بيوت اليهوديين، كانت تبني مثل بيوت المسلمين، ولا ينعزل بعضها عن البغض الآخر إلا

[1] "المغرب نموذج فريد للتعايش بين اليهود والمسلمين" في 20 يناير 2021م المصدر الدار الموقع الإلكتروني https://aldar.ma/219868.html، تاريخ التصفح: 15 غشت 2023، الساعة الثانية والنصف زوالا.

[2] سعيد الحاجي، جوانب من تعايش المسلمين واليهود: المغرب نموذجا، مقالة بتاريخ 29 يناير 2022، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الموقع الإلكتروني: https://www.mominoun.com/articles تاريخ التصفح: 15 غشت 2023، الساعة الثانية والنصف زوالا.

لماما، وهي عبارة عن حجرات تعيش فيها العديد من الأسر في وئام تام وتنفتح على ساحات مشتركة.[1]

ومن بين المبادرات التي وجدت في المغرب صدى قوي تحديدا هي "مؤسسة رجال الكلمة" وهي مؤسسة سويسرية أنشئت سنة 1999م تؤكد حيادية هويتها وأنها تهدف لنشر ثقافة السلام بين دول العالم، وبنيت هذه المبادرة على أساس تنظيم المؤسسة لمنتدى سياسي بين الفلسطينيين والإسرائيليين في سنة 2003 بسويسرا. فقد اهتم الملك الحسن الثاني رحمه الله بحوار الأديان، حيث عقد مؤتمر في الرباط صدر عنه إعلان حوار الأديان التوحيدية الثلاثة في 16 فبراير 1998م، وأرجع العديد من المحللين هذا الاهتمام المغربي لمحاولة استباق مواجهة أي أعراض عدم استقرار ناتجة من وجود أقلية يهودية في المغرب.[2]

وفي أبريل 2019م أطلق جلالة الملك محمد السادس بناء متحف للثقافة اليهودية في إطار البرنامج التكميلي لتعزيز مدينة فاس. وينضاف هذا المتحف الجديد اليهودي الوحيد بالعالم العربي الإسلامي، والموجود في الدار البيضاء والذي يضم مجموعات تعكس ألفي سنة من الحياة اليهودية في المغرب.

فمن بين نماذج تعايش الديانتين الإسلامية واليهودية في المغرب هو إدراج المغرب للثقافة اليهودية في المناهج الدراسية وذلك لتعزيز التعايش بين الأديان، خاصة الحقبة العلوية التي تتطرق إلى الوجود التاريخي لليهود في مدينة الصويرة خلال حكم السلطان محمد بن عبد الله المعروف بمحمد الثالث، والذي اختار مرفأ الصويرة لتأسيس المدينة كمركز دبلوماسي وتجاري، ضمت عددا كبيرا من اليهود وكانت نموذجا للتعايش بين الديانات.[3]

إضافة إلى أن الملك محمد السادس خلال خطبه الجمة، خص بالذكر القيم المغربية ولا سيما "القيم المؤسسة للهوية الوطنية الموحدة كالدينية والروحية" وفي مقدمتها قيم الإسلام السني المالكي، القائم على إمارة المؤمنين، الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال، والانفتاح على الآخر، والتسامح والتعايش مع مختلف الديانات والحضارات، موضحا بين ذلك ما يجعل المغرب نموذجا في العيش المشترك، بين المغاربة المسلمين واليهود وفي احترام الديانات والثقافات الأخرى. هذا التذكير بالرافد العبري، الذي حضر ضمن خطاب العاهل المغربي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثالثة من الولاية التشريعية الحادية عشرة، كرس صورة قديمة وواضحة عن المغرب، باعتباره بلدا كشف تاريخيا عن حس من التفاهم والتعايش واتساع معاني الاختلاف لاستيعاب عقائد المسلمين واليهود وغيرهم، فتاريخنا كان في المغرب تكامل مجتمعي بين الحساسيات

[1] النقيب فواتو، وجدة والعمالة، الجزء الأول، مطبعة شمس الطبعة الأولى، وجدة 2003م ص: 181.

[2] "حوار الأديان مراجعة وتقويم": أعمال ندوة حوار الأديان، لسنة 2010، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2011، ص:131.

[3] "تقرير يبرز أهمية إدراج المغرب للثقافة اليهودية في المناهج الدراسية لتعزيز التعايش بين الأديان"، مقال منشور بتاريخ 16 دجنبر 2020، بالموقع الإلكتروني: https://aldar.ma/214269.html، تاريخ التصفح: 15 غشت 2023، الساعة الثانية والنصف زوالا.

الدينية، يتأتى في العبادات والاحترام والممارسات اليومية الأخرى.[1]

ولقد انتهى تواجد اليهود بشكل كبير بعد فترات استقرار دامت أزيد من ألفي سنة، تمكنوا خلالها من ترك بصماتهم على مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، كما أنهم تأثروا بالسكان المحليين وأخذوا عنهم عديدا من العادات والتقاليد، و لم يعد من ذلك التاريخ سوى ذكريات يعتز بها يهود المغرب، وآثار استقرارهم في الموسيقى والغناء والفلكلور إضافة إلى مزاراتهم الموسمية الجماعية لقبور أوليائهم المحليين ويمكن الجزم من خلال مختلف مظاهر التعايش المرصودة تاريخيا بين المسلمين واليهود في المغرب، بأن هذا الأخير يمثل أنموذجا من بين أرقى نماذج التعايش التاريخي بين الديانات في العالم.

من هنا يتضح لنا، أن المغرب هو البلد الأول في منطقة شمال إفريقيا الذي قام بدمج التاريخ والثقافة اليهودية ضمن ثقافته المغربية، وذلك في إطار مبادرة تهدف إلى إبراز تنوع الهوية المغربية. فماذا عن تعايش الجانب المسيحي الإسلامي في المغرب؟

٢- المغرب وحوار التعايش الإسلامي المسيحي

تعيش في المغرب أقلية من المسيحيين منذ العصر الروماني قبل قرون، لكن عدد هذه الأقلية تراجع من نحو 300 ألف إبان فترة الاستعمار الفرنسي والإسباني إلى نحو 45 ألفا في الوقت الراهن. وينحدر غالبيتهم من إفريقيا جنوب الصحراء. ويتمتع المسيحيون الأجانب المرتبطون بكنائس رسمية، عمليا بحرية تامة في ممارسة شعائرهم بحماية من السلطات، لكنهم لا يحظون بوضع قانوني، مثل ذلك الذي يتمتع به المغاربة اليهود كما ذكرت سابقا.[2]

فالمسيحي المغربي اليوم منشغل بأن يعترف به قانونيا من أجل ممارسة عقائده المسيحية في العلن، ومنشغل بزيجاته" الزواج" أن تكون بطريقة مسيحية أو مدنية، ومنشغل كذلك بتسمية أطفاله بأسماء يرتضيها، دون أن ننسى التعليم الديني للأطفال ألا يكون تعليما مؤدلجا يدرس دينا موجها إيديولوجيا، بل المسيحي منفتح في تعليم أطفاله تاريخ الأديان بدل التعليم الدين المحض، هذا دون أن ننسى قراءة الكتاب المقدس بلغته، وليس حرمانه منه، وفي الأخير بعد الممات أن يدفن بكرامة في مدافن خاصة أو مسيحية. فالمسيحي اليوم يعيش التباسا في هويته الدينية، التباس برفضه أن يكون مجرد متخف عن الأنظار، والتباس بأن يعيش كما هو، أو كما تفرض المسيحية أن يكون بها، فهناك التباس واضح في الفهم، من ناحية الوجود المسيحي بالمغرب إعلاميا، والتباس عدم ضبط أعداد المسيحيين المغاربة، فغالبيتهم يعيشون المسيحية كثقافة بلا ممارسة، وإذا كانت هناك ممارسة فهي تبقى سرية، لكن ما يصبو إليه المسيحيون المغاربة هو ممارسة المسيحية كعقيدة وهوية دينية لهم.[3]

فكانت زيارة قداسة البابا "خوان بابلو الثاني" في غشت 1985م إلى الدار البيضاء مثالا يوضح ما يميز

[1] "إنعاش الذاكرة"... الملك يستحضر نموذج التعايش المغربي بين المسلمين واليهود، مقال منشور بتاريخ 14 أكتوبر 2023 بموقع هيسبريس، www/hespress.com

[2] "مسيحيو المغرب... أقلية تراجع عدد أفرادها بعد الاستقلال"، نشر المقال في 2019/03/29 على موقع: https://amp.france24.com، تاريخ التصفح: 15 غشت 2023، الساعة الثانية والنصف زوالا.

[3] محمد سعيد، ما معنى أن تكون مسيحيا مغربيا؟، الجمعة 2023/7/7 هسبريس "كتاب وآراء" .http://www.hespress.com

المغرب في مجال الحوار بين الديانات. كانت تلك الرحلة البابوية هي أول زيارة رسمية لبلد ليس فقط مسلما بل بلد لا يوجد فيه مسيحيون. وبمناسبة تلك الزيارة كان جلالة الملك الحسن الثاني قد دعا قداسة البابا إلى أن يوجه الكلام إلى الشبيبة المغربية بوصفه مربيا. وكان اللقاء مع الشباب هو اللحظة المركزية في تلك الزيارة. كما أن زيارة البابا إلى المغرب كانت أكثر زياراته سكينة من دون كل الزيارات التي قام بها قداسته إلى مختلف أنحاء العالم.[1]

إضافة إلى أن المغرب افتتح في سنة 1997م، سفارته لدى الفاتيكان لتوطيد العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين، و"المونسنيور فيتو" هو السفير البابوي في الرباط.

أما في موضوع حوار الأديان السماوية الثلاث، فقد شهد المغرب نشاطات متعددة كحدث "تعايش وحوار الأديان بالمغرب" تم فيه اجتماع ثلاثة رجال دين يمثلون الديانات السماوية الثلاث، وهم: رئيس الكنيسة الكاثوليكية بالمغرب، ورئيس الطائفة اليهودية بالمغرب، ورئيس المجلس العلمي المحلي لأنفا، في سنة 2013م، حيث اجتمع القادة على طاولة واحدة وتحدثوا عن واقع تعايش الأديان وأجابوا عن الأسئلة حول هذا الموضوع. وقد شاركهم في الحوار مجموعة شباب مغربي من مختلف المعتقدات الدينية، وقد طرحوا العديد من الأسئلة حول الديانات الإبراهيمية الثلاث، والتي تمت الإجابة عليها في جو حضاري بدون تعصب ولا مشاحنات. فلهذا نستنتج إن الشباب أهم عنصر بالمجتمع، ويشكل تعويدهم على الحوار والتعايش وتقبل الآخر بكل اختلافاته الدينية والأيديولوجية والثقافية خطوة هامة لأي مجتمع يسعى إلى التغيير الإيجابي.[2]

أما عن الزيارة التاريخية للبابا "فرنسيس" فقد سلطت الأضواء على المغرب كونه منارة عالمية للتسامح في محيط إقليمي ودولي تسيطر عليه أجواء التعصب والتطرف، في وقت فشلت فيه الأشكال التقليدية لمواجهة التيارات المتشددة، وحث العاهل الملك محمد السادس والبابا فرنسيس على تعزيز التسامح من خلال إيلاء الجانب الديني الأهمية البالغة لمواجهة ظاهرة التعصب التي ترتبط بالجهل وتسيئ إلى الدين، كما قال الملك محمد السادس بصفته أميرا للمؤمنين، إنه الضامن لحرية ممارسة الشعائر الدينية، والمؤتمن على حماية اليهود المغاربة، والمسيحيين القادمين من الدول الأخرى، الذين يعيشون في المغرب. ونوه إلى أن إحداث معهد محمد السادس لتكوين الأئمة يندرج في سياق جهود محاربة التطرف من خلال التربية، مشيرا إلى استجابة المغرب لطلبات العديد من البلدان الإفريقية والأوربية باستقبال شبابها في هذا المعهد الذي يتخرج منه أئمة مساجد ومرشدون ومرشدات دينيات.[3]

ونظمت أكاديمية المملكة المغربية بشراكة مع أكاديمية الحسن الثاني للعلوم والتقنيات، والسفارة السويسرية في المغرب لقاء حول "الحوار ما بين الديانات،

[1] المساري، 1994.

[2] هند السباعي الإدريسي، الحوار بين الأديان في المغرب، التعايش بين الديانات في المغرب خطوات إيجابية، مقالة منشورة بموقع قنطرة .ar.qantara.de سنة 2013، تاريخ التصفح 15 غشت 2023، ساعة التصفح، الثالثة بعد الزوال.

[3] محمد مأموني العلوي، المغرب منارة للتسامح ومواجهة التعصب، مقالة نشرت بتاريخ 31 مارس 2019 بالموقع الإلكتروني: https://alarab.co.uk تاريخ التصفح 15 غشت 2023، ساعة التصفح، الثالثة بعد الزوال.

أولوية اجتماعية للقرن الواحد والعشرين" حيث أبرز السيد "شيرز" سفير سويسرا في المغرب أنداك في كلمته: إن المغرب، أرض الإسلام، يتميز بتعايش سلمي "ملحوظ" بين الديانات. وشدد السفير على أن سويسرا والمغرب، يفخران بهويتهما الدينية والثقافية المتعددة، ويعرفان كيفية إظهار انفتاح كبير وقدره على قبول الاختلاف وتقبل الآخر في بساطته وتعقيده، وهو ثراء بحسبه يقودنا إلى التعددية. وأشار أن الحوار يتعلق بشكل أساسي بترسيخ ثقافة احترام التنوع والتعددية كوسيلة للتواصل بين الأفراد والمجتمعات. وخلال هذا اللقاء الذي عرف حضور خبراء وأكاديميين ومؤرخين وباحثين مرموقين، تم التركيز على مزايا الحوار الذي يتمثل في تجاوز الكراهية والأحكام المسبقة، ومد الجسور وخلق رأسمال اجتماعي كمساهمة في تحقيق السلم وضمان إشعاع لصور الصداقة والتفاهم، كما تم التركيز أيضا على تحديات حوار الأديان من خلال التساؤل بشكل خاص حول طريقة تدبير الخلافات وتأصيل الحوار مع الأخذ بعين الاعتبار التجارب المحلية، فدعوا إلى توسيع وتعميق حوار الأديان مع التوجه المجتمعي والأخلاقي.[1]

*** خاتمة**

إن تكريس مبدا التعايش الديني ضرورة ملحة في وقتنا الحالي، وذلك لما وصلنا إليه من مظاهر العنف وارتكابه بحق الإنسانية والإنسان عموما في كل بقاع الأرض، وباتت الدعوة لأهمية التعايش الديني هدفا ومبتغى في آن واحد، فلا بد من نشر التسامح بين الأديان وفرض التعايش بينهم.

كما نؤكد على أن المغرب هو واحد من الوجهات التي تجلب الباحثين في مجال الأديان، البحث عن الأمن والاستقرار لما يوفره بمعية نسيجه الثقافي والمجتمعي من حرية دينية وأمن داخلي وفرص متعددة للاندماج والتعايش. فلا يوجد على أرض المغرب صراع طائفي ولا ديني، وهذا خير دليل على أن الجهود التي يبذلها المغرب في التوعية بأهمية التعايش ونشر الحوار تأتي أكلها ويستظل الجميع بظلالها الوارفة.

لهذا فلا بأس أن نضيف إلى جانب هذه الخاتمة بعض المقترحات أو التوصيات التي يسعى الجميع أن يتحلى بها:-

١- على الإنسان قبول الأديان على الرغم من اختلافها واختلاف معتنقيها.

٢- انعدام التعصب والتمييز بين الناس على اختلاف أديانهم.

٣- وجود بعض التغييرات بين الماضي والحاضر من الناحية الدينية.

٤- المساهمة الوازنة لوسائل الإعلام في نشر ثقافة التعايش الديني بين الديانات.

*** المراجع**

دستور 2011 للمملكة المغربية.

أحمد محمد رحومة: "مفهوم التعايش بين الأديان"، مجلة أصول الدين، العدد 4.

أسامة حداد: "الدين والتعايش في الإسلام". سلسلة "التفاعل الإسلامي المسيحي"، العدد 3، دار

[1] "المغرب يتميز بتعايش سلمي، ملحوظ، بين الديانات" سفير سويسرا بالرباط 2022/03/22 موقع mapexpress.ma، تاريخ التصفح 15 غشت 2023، ساعة التصفح، الثالثة بعد الزوال.

المشرق بيروت، الطبعة الأولى 2006م، جامعة القديس يوسف، معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية.

الأب عادل تيودور خوري: "العيش المشترك ودوره في التربية الدينية"، سلسلة "التفاعل الإسلامي المسيحي"، العدد 3، دار المشرق، بيروت 2006.

إبراهيم حركات: "المغرب عبر التاريخ"، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الرشاد الحديثة، 1984م.

عبد العزيز علي الجماني: "التعايش السلمي".

حاييم الزعفراني: "ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ، ثقافة، دين"، الطبعة الأولى، عام 1987م، الدار البيضاء.

دانييل شرتور: "يهودي السلطان"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط أكدال، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2011م.

محمد العربي المساري: "ثلاث ديانات في حالات التعايش والأزمة مثال المغرب"، مجلة دراسات وأبحاث، مقتطف من لقاء" الديانات الثلاث" الذي نظمته جامعة "ألكالا دي هيناريس" في إسبانيا يومي 29/28 نوفمبر 1994 بمشاركة مثقفين وسياسيين ورجال دين مسلمين ومسيحيين ويهود.

"المغرب نموذج فريد للتعايش بين اليهود والمسلمين" في 20 يناير 2021م المصدر الدار الموقع الإلكتروني https://aldar.ma/219868.html.

سعيد الحاجي: "جوانب من تعايش المسلمين واليهود: المغرب نموذجا"، مقالة بتاريخ 29 يناير 2022، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الموقع الإلكتروني: https://www.mominoun.com/articles.

النقيب فواتو: "وحدة والعمالة"، الجزء الأول، مطبعة شمس الطبعة الأولى، وحدة 2003م.

"حوار الأديان مراجعة وتقويم": أعمال ندوة حوار الأديان، لسنة 2010، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2011.

"تقرير يبرز أهمية إدراج المغرب للثقافة اليهودية في المناهج الدراسية لتعزيز التعايش بين الأديان"، مقال منشور بتاريخ 16 دجنبر 2020، بالموقع الإلكتروني: https://aldar.ma/214269.html.

"مسيحيو المغرب...أقلية تراجع عدد أفرادها بعد الاستقلال"، نشر المقال في 2019/03/29 على موقع: https://amp.france24.com.

محمد سعيد: "ما معنى أن تكون مسيحيا مغربيا" الجمعة 2023/7/7 هسبرس "كتاب وآراء" http://www.hespress.com

هند السباعي الإدريسي: "الحوار بين الأديان في المغرب، التعايش بين الديانات في المغرب خطوات إيجابية"، مقالة منشورة بموقع قنطرة ar.qantara.de. سنة 2013.

محمد مأموني العلوي: "المغرب منارة للتسامح ومواجهة التعصب"، مقالة نشرت بتاريخ 31 مارس 2019 بالموقع الإلكتروني: https://alarab.co.uk.

"المغرب يتميز بتعايش سلمي، ملحوظ، بين الديانات" سفير سويسرا بالرباط 2022/03/22 موقع mapexpress.ma.